إسرائيل بين الدين والعلمانية

دراسة في البعد الديني للنظام السياسي الإسرائيلي المعاصر

(القدس نموذجاً)

الدكتور
فكرت رفيق شفيق السيد
أستاذ مساعد
كلية القانون / جامعة كركوك

المدخل:-

إن هدف الصهيونية العالمية، هو إقامة دولة دينية داودية سليمانية أوتوقراطية ، عاتية مستبدة ، تحكم العالم (١)، من أورشليم / القدس التي حسب التفسيرات التلمودية ، هي قاعدة الإنطلاق للإستيلاء على العالم ، وإقامة الحكومة العالمية ، وتعد دولة إسرائيل النموذج الصهيوني المصغر لهذه الحكومة ، لذلك تحفزت الصهيونية في تنفيذ مخططها الحقيقي ، وهو إقامة الدولة الدينية اليهودية فوق الأرض المقدسة في فلسطين عام ١٩٤٨م ، رغم تسترها بالعلمانية والديمقراطية والليبرالية وما يشتق من معانيها ، وهي شعارات ماسونية (سنبدلها عندما نقيم مملكتنا) (٢) .

إن النظام السياسي الإسرائيلي المعاصر ، نظام ديني ـ ثيوقراطي يلعب الدين أو البعد الديني دوراً مهماً في صنع قراره السياسي الوطني والأقليمي العالمي ، ولكي نعي خلفيات هذا البعد الديني ، لابد لنا من إستحضار حقائق دينية وتأريخية عن ذلك الموروث المقدس في تلك البقاع المباركة وأرض الرسالات ومهدها ، لأن اليهود حسموا صراعهم القديم والحديث مع الآخرين (الكفار) وبالذات مع الإسلام ، على أنه صراع ديني ـ تأريخي ، وأن القدس وما حولها ستكون ميداناً لهذا الصراع ، حيث ستشهد أرضها حرباً كونية اطلقوا عليها إسم معركة (هرمجدون) (٣) التي حسب تصورهم التوراتي ، هي بداية الخلاص المسيحاني .

إن للصراع القادم بعدين ، زماني ومكاني ، أما البعد الزماني فأنهم يدعون ان الدخول الفعلي فيه سيكون مع بدايات الألفية الثالثة ، وأما البعد المكاني ، فأنه سيكون في الأرض الوسط والبقعة المباركة على أرض الشام وما حولها من مصر والحجاز والعراق التي أسموها أرض الميعاد .(٤)

إن الخطاب السياسي الإسرائيلي المعاصر ، لا يعاني من إشكالية العلاقة بين الدين والسياسة ، لإن السياسة في تصورهم هي إمتداد للدين والتفسيرات التلمودية ، والدليل على ذلك هو المد الديني في المجتمع والدولة والجيش ، حتى أصبحت ظاهرة يصعب تجاهلها ، وأخذ يهدد نظامهم العلماني الذي يحرصون على الظهور أو التظاهر به أمام المجتمع الدولي ، بينما الواقع السياسي يؤكد أن الدين يشكل جوهر هذا النظام ، أما الأبعاد الأخرى فهي تابعة له . إن تنامي دور الأصولية الصهيونية (٥) في المجتمع الإسرائيلي ، يجسد هذه الحقيقة كونها دولة دينية ـ ثيوقراطية ، عقيدة وفكراً ونظاماً ، ويمكن ملاحظة ذلك من خلال :

ـ هيمنة دار الحاخامية (٦) التي هي المرجعية الدينية العليا لليهود ، على المؤسسات السياسية حكومةً وبرلماناً واحزابا .

ـ ظهور أحزاب وجماعات دينية ذات النهج الأصولي المتمثلة في : المفدال ، غوش إمونيم (كتلة الإيمان) ، كاخ وغيرها وتزايد تاثيرها المباشر على عملية صنع القرار ، وتحتل مناصب ومقاعد ، ولديها جماعات ضغط في المجتمع والحكومة والكنيست (٧) وقد أظهرت حمى سنة ٢٠٠٠ م (٨) الأبعاد والمشاعر الدينية والروحية التي تقبع خلف السياسات التي يظن الناس أنها بلا خلفيات ، ومن المتوقع إزدياد درجة الوضوح في الطبيعة والرؤية الدينية ، كلما توغلت عقارب الساعة الى داخل الألفية الثالثة (٩)

هناك مسألة جد حساسة ، ينبغي الاشارة اليها وهي ان أغلب سياسييهم ومفكريهم وباحثيهم وباختلاف انتماءاتهم الايديولوجية علمانية اودينية يستخدمون البعد التاريخي بدلا من البعد الديني في الكثير من دراساتهم وبحوثهم وبخاصة الاكاديمية ، مما يوقع الكثير في فهم خاطئ وقاصر مفاده ان

البعد التاريخي غير البعد الديني الا ان الحقيقة غير ذلك ، لإن اية قراءة تحليلية واقعية للفكر الصهيوني تظهر ان البعد التاريخي يستخدم من قبل هؤلاء مرادفاً للبعد الديني فالحق التاريخي هو حق ديني ، والواجب التاريخي هو واجب ديني (١٠).

ومع دخول العالم بدايات الالفية الثالثة ، بدات الصهيونية حملة واسعة لتهييج المشاعر الدينية بين اليهود والمؤمنين بهم من خلال تهيئة اذهانهم فكريا وعقائديا ونفسياً ، بوقوع احداث كبرى ، مرتبطة بحلول ألفية جديدة ، التي تعنى لهم ، الاقتراب من اليوم السابع ، وهو اليوم الاخير في التاريخ اليهودي ، وهو عصر ملئ بالدلالات الدينية والاخروية التي ستتوج في معتقدهم بمقدم آخر الانبياء اليهود، وهو المسيح المنتظر (١١) ويعودون الى فلسطين ، ارض الرب الموعودة (ترّنمي وإخرجي يابنت صهيون لأني ها أنذا آتي وأسكن في وسطك ، والرب يبعث نصيبه في الارض المقدسة ويثأر لنفسه اورشليم) (١٢) انجازاً للحقين معاً، الحق التاريخي والحق الديني .

سنركز في دراستنا هذه على القدس نموذجاً كونها نقطة المركز وبؤرة الاهتمام في العديد من القضايا الدينية ، وما يترتب عليها من نشاطات سياسية واقتصادية وعسكرية ، وفيها تتوضح معالم البعد الديني ومدى الاتفاق بين الدينيين والعلمانيين حولها ،لأنهم ينطلقون من نفس الثوابت والاصول العقيدية والروحية والتاريخية ، وان اختلافهم هو في التحليل والرؤية والتوجه . تم تقسيم الدراسة الى محاور اربعة وهي :

اولا : الحركة الصهيونية بين الدين والعلمانية
ثانيا : القدس في التصور اللاهوتي اليهودي
ثالثا : القدس في الخطاب السياسي الاسرائيلي المعاصر
رابعا : الاستنتاجات

أولاً : الحركة الصهيونية بين الدين والعلمانية

هناك اختلاف بين الباحثين حول موقف الحركة من الدين فمنهم من يرى انها علمانية واخرين انها دينية وبينهما راي ثالث يرى انها دينية سياسية ولغرض تجليت موقفها الحقيقي من الدين علينا دراسة فكر مؤسسها هرتزل الذي إنعكس بوضوح على الحركة فكراً وأهدافاً وتنظيماً .

يعد هرتزل الاب الروحي والرئيس الفعلي للحركة ومؤتمرها الاول الا انه ليس اول من دعا الى تبني الفكرة الصهيونية (١٣) فقد سبقه عدد غير قليل من المفكرين ان الغموض كان يلف افكاره وشخصيته وبدايات تصوراته للصهيونية فكرة وحركة ودولة هل كانت دينية او علمانية هنالك راي اولهما انه كان علمانيا دنيويا ضعيف الايمان بعقيدته اليهودية ومتاثرا بالتصورات الفلسفية والسياسية السائدة في عصره الذي كان يشهد تراجعا للدين وانحسارا لدور الكنيسة في المجتمع والدولة في اوربا وصعودا للقومية والدولة القومية التي بدات مع بدايات القرن الثامن عشر فكان شديد التاثر بالثقافة القومية العلمانية النابذة للدين لهذا لم يتفق هرتزل مع الحاخامات الذين كانوا يرون ان (الاخلاص للدين سيكون المنقذ الوحيد) (١٤) اما الراي الثاني فانه يرى ان ايمانه بالمسيح المنتظر كانت من الدوافع المبكرة لفكرة انشاء الدولة اليهودية حيث ادعى في احد المرات ان المسيح طلب منه ذلك في رؤية راها في صغره حيث قال له المسيح (اذهب واعلن لليهود بانني سوف اتي عما قريب لاخرج المعجزات الكبيرة واسدي الاعمال العظيمةلشعبي في العالم باسره) (١٥) .

وقدآمن هرتزل بهذه الرؤية وعمل بها طوال حياته مما يدلل على انه كان متدينا ومتاثرا بالافكار التوراتية والتلمودية ، ويرجح بعض الباحثين هذا الراي الى حد ما ويبررونه بالصعوبات التي واجهها هرتزل في مشروعه الصهيوني من لدن المتدينين والاصولين اليهود الذين اراده دينا ًتوراتيا لا علمانيا على الطراز الغربي ، لذا لجأالى سلطة الاساطير لتوظيفها في تنفيذ مشروعه ، فاخذ يستخدم المفاهيم الدينية المنتقاة من التوراة والتفسيرات التلموذية مثل شعب الله المختار، التابوت ، الهيكل ، الخلاص العودة الى ارض الرب ، مما سبق يمكن القول ان هرتزل رغم ادعائه بالعلمانية الا انه وظف الدين لانجاز حلمه الصهيوني معبرا بذلك عن حقيقة انتمائه العقيدي للصهيونية ديناً وحركةً ودولةً .

لقد ميّز الباحثون بين الصهيونية الدينية ، و الصهيونية القومية فالأولى مرتبطة بالجانب الروحي اللاهوتي حيث يؤكد أحد أقطابها و هو حاييم وايزمان (ان الدين و الشعور الديني هو مصدر الحركة الصهيونية المبني على أقدم الذكريات التي نشأت فيها الحياة اليهودية الأولى ، التي مارست فيها حريتها

)(١٦) و هذا تأكيد على مدى تطابق أهداف الصهيونية الدينية و الصهيونية القومية ، و إتفاقهما على ما جاء في التوراة (لنسلك أعطي هذهِ الأرض من نهر مصر النهر الكبير نهر الفرات) (١٧) .

إن كل المحاولات لأضفاء الطابع العلماني / الدنيوي على حركتهم و دولتهم ، كانت تكتيكية– ظرفية إرتبطت بمرحلتها التاريخية في حينها ، لأنها ظاهرة طارئة و عارضة في حياتهم المدنية و السياسية ، و هي في طريقها الى الأفول ليحل الدين مكانها (١٨) ، و أن الأوصولية اليهودية ستكون حلاً وسطاً و توفيقياً بين الدين و العلمانية لأنها تتكون من مجموعة القوى السياسية اليهودية التي إنطلقت من نزعة توفيقية بين الدين اليهودي و الصهيونية العلمانية ، و أضفت عليها قيمة دينية ، بإحتسابها بداية الخلاص المسيحاني (١٩) .

خلاصة القول ، إن الصهيونية حركة دينية سياسية ، لها مصدران أساسيان يدلان عليها ، و هما : الوعد الإلهي بالعودة في التوراة و برتوكولات وضعها حكماء اليهود ، و قد مزجت الحركة الصهيونية بين الدين و السياسية ، و إتخذت الدين ركيزة تقوم عليهِ الدعوة السياسية (٢٠) .ثانياً : القدس في التصور اللاهوتي اليهودي :

ثانيا : القدس في التصور اللاهوتي اليهودي

يعرف قاموس ويبستر اللاهوت theology على (انه دراسة الله وصفاته وذاته وعلاقته بالكون والإنسان ، وكذلك الدين والمعتقدات الدينية المتراكمة فلسفة الدين) (٢١) اما اللاهوتية اليهودية ، فانها مجموعة الافكار والتصورات والمعتقدات الدينية اليهودية ، والتي تقوم على اركان خمسة هي : وحدانية الله ، نبؤة موسى قدسيةجبل جرزيم ، الايمان بيوم الدينونة والبعث ، (٢٢) وفي رده على تساؤلات ديورانت حول الأسفار الخمسة يقول محمد صبيح (٢٣) لا تهمنا هذه الدراسات اللاهوتية التي تلخص خمسين الف مجلد ، ولكن ما يهمنا هو الغموض الكامل الذي احاط بمنشأ التوراة وتصوراتها عن القدس ، لان تقديس اليهود لهذه المدينة المقدسة جاء من خلال اسفار ونصوص التوراة ، فهي عندهم أورشليم ، أي مدينة السلام التي منها سيحكم العالم تحت قيادة ملك السلام ، وهنالك تسميات أخرى لها منها : صهيون ، مدينة الإله ، مدينة العدل ، مدينة الحق ، مدينة الشعب المختار ، أرائيل / أسد الله ، أورشليم ، وكل هذه التسميات تنطوي على معنى واحد ، وهو محاولتهم لربط هذه المدينة المقدسة بهم عقيدة وفكراً وتأريخاً(٢٤) .

إن للقدس في اللاهوت اليهودي ، مكانة مستقبلية ، لأنها ستصبح عاصمة المسيح المخلص القادم ، الذي هو من نسل داود عليه السلام ، لهذا يطلقون على القدس إسم (الشخيناه) أي الملكوت الذي سيحكم منه العالم ، وقد جاء في (الإجادة) (سيأتي اليهود الى القدس وسيأخذونها ، وستملئ جذورها بالثروة) أما في (القبالاة) فنقرأ (أورشليم المكان الذي سيفيض بالخير من السماء ومنها يوزع على العالم كله) (٢٥) .

لاتختلف مكانة القدس في التصور اللاهوتي الحديث عن التصور في اللاهوت القديم ، لإنها إمتداد طبيعي لها ، لهذا نرى أنه ليس هنالك في إسرائيل عاصمتان ، عاصمة دينية وأخرى سياسية ، بل عاصمة واحدة موحدة هي عاصمة دينية في القدس ، التي ينبغي أن لا يقطنها إلا المتدينون ، وإن إسكانهم في القدس يسير على وفق نسق ديني ، يرسم معالمه المتشددون من حاخامات وكهنة وطلاب علوم دينية ، ويقوم على إنجازه سياسيون وقادة عسكريون(٢٦).

إذاً ، تبقى القدس راسخة في الوجدان الديني والتراث العقيدي واللاهوتي القديم والحديث ، لإنها مكان (الهيكل) الذي إتخذوه رمزاً منقوشاً على العلم الإسرائيلي ، ومعه نجمة داود السداسية ، ومع دخول العالم الألفية الثالثة ، ستبدأ في إسرائيل عملية نقل تابوت العهد التي صورها سفر الملوك الأول (حينئذ جمع سليمان شيوخ إسرائيل وكل رؤوس الاسباط رؤوساء الأباء من بني إسرائيل في أورشليم ، لاصعاد عهد الرب من مدينة داود وهي صهيون) (٢٧).

إن إدعائهم بأن الرب يسكن في مدينة أورشليم ، تعبير عن مدى تشبثهم بأقدس ما لديهم في (أرض إسرائيل الكبرى) وهي القدس ، وان أي تفريط بها يساوي التفريط في مسكن الرب .

ثالثاً : القدس في الخطاب السياسي الإسرائيلي المعاصر

تحتل القدس مكانة مركزية في الخطاب السياسي الإسرائيلي المعاصر ، فمثلاً في البرنامج السياسي الإنتخابي لكتلة الليكود الذي ينتهج المفهوم الهرتزلي لإسرائيل الكبرى ، تاتي القدس في اولويات سياستها ، وقد عبر عن ذلك بكل وضوح زعماء هذه الكتلة من أمثال : بن كوريون وموشي دايان وآلون وشاميررر وبيغن وغيرهم (٢٨) ويُصنف الليكود ضمن الأحزاب العلمانية في النظام الحزبي الإسرائيلي ، ولا تختلف الصورة عند كتلة العمل إلا في الأسلوب والطرح ، بينما تكون أكثر وضوحاً عند الأحزاب الدينية ، وتمسكها بالقدس وعدم التنازل عنها ، وأن أي تفريط في شبر من الأرض ، يعد في تصورهم خيانة وكفراً يستحق صاحبها القتل ، ولأجل ذلك قامت الأحزاب الدينية وبدعم من الحاخامات بجملة من النشاطات منها ، جعل مدينة القدس محكومة بتعاليم التوراة فقط ، وكانتً من نتائجها إرتفاع عدد المتدينين (الحريديم) في القدس وإنتشار المظاهر الدينية فيها منها : غلق عدد من الأحياء والشوارع الرئيسية في وجه المرور يوم السبت ، إلتزاماً بتعاليم التوراة التي تحظر أي نشاط غير العبادة في يوم السبت (٢٩) هذه الإجرءات التي دفعت بعض التيارات العلمانية الى القول ، ‘ن القدس أصبحت معقلاً للتطرف الديني ، الذي أدى الى تناقص عدد اليهود غير المتدينين ومغادرتهم لها ، نظراً للطابع الديني والقيود التي يفرضها المتدينيون (٣٠)

ومن أبرز نتائج هذا المد الديني الأصولي في إسرائيل نجاح القوى والأحزاب الدينية في وزارة نتنياهو في تسلم سبع حقائب وزارية ، حيث جاء بالمرتبة الثانية بعد حزب باراك إذ قدموا مشروعاً يدعو الى تطبيق الشريعة اليهودية ، وطالبوا بإغلاق كافة المصالح التجارية والترفيهية يوم السبت ، وطال الحظر مطار اللد الدولي أمام حركة الطيران الدولية ، كما أنهم طالبوا أعضاء الكنيست بضرورة الإلتزام بالتعاليم التوراتية وعدم إرتداء الملابس القصيرة والسراويل (٣١) .

يتضح مما سبق ان الهدف واحد لكل القوى السياسية العلمانية والدينية ، إلا أن تكتيكات العمل الحزبي مختلفة ومتباينة ، وإن كل الحكومات المتعاقبة على الحكم في إسرائيل منذ قيامها لا تتعارض أهدافها العامة مع طروحات الأحزاب الدينية المعتدلة والأصولية ، إلا في الوسائل ووقت التنفيذ ، فالأحزاب ذات النهج العلماني ، ليس أقل حرصاً وحماساً من الجماعات والأحزاب الدينية بكل إتجاهاتها في قضية القدس ، والإسراع بهدم المسجد الأقصى ، ثم بناء الهيكل على انقاضه ، حيث يؤكد هذا التوجه والدعوة الحاخام ماكوفر ، قائلاً : (لا أشك لحظة في أن الجامع ذو القبة الذهبية والمقام على الصخرة نفسها التي أقام عليها الملك سليمان ، مركز العبادة العبرانية في التاريخ القديم ، هذا الجامع سيدمر ليقام مكانه هيكل القدس الجديد ، الذي سيعاد بناؤه بكل فخامته) (٣٢). أما طروحات الحاخام موشيه ليفنعر فأنها أشد تطرفاً عندما قال : (إن الله وهب أرض فلسطين لليهود ، لذا ينبغي على العرب أن يتخلوا عن أراضيهم لليهود الذين لديهم الحق الإلهي ، وإذا لم يوافقوا على ذلك فسنأخذها بالقوة) (٣٣) .

إن تنامي دور دار الحاخامية وتوسع نفوذها لدرجة أن الدولة وبكل مؤسساتها لا تستطيع معارضة أوامر وفتاوي دار الحاخامية المتعلقة بيوم السبت وطقوس الأطعمة الشرعية ، وأن دورها لم يقتصر على الحياة المدنية فحسب إنما إمتد الى داخل أجهزة وسلطات النظام السياسي ، فضلاً عن معالجتها للقضايا السياسية من منظور ديني(٣٤).

إن سيطرة دار الحاخامية على المجتمع والدولة من خلال فرضها للقيم الدينية اعطتها مساحات واسعة لممارسة الضغط على المؤسسة السياسية و إجبارها على الإنقياد لها ولمطالبها ، لا سيما أنها تحظى بالتأييد الشعبي وبخاصة من الأحزاب اليمينية القومية والأصولية الصهيونية (٣٥).

حسب رأي بعض الباحثين ، إن الصراع بين التيارين الديني والعلماني يستند الى حقيقة انقسام المجتمع الاسرائلي الى اربعة مجموعات رئيسية ، وهي الغلاة (الحريديم) ٨% المتدينون الوطنيون ١٧% التقليديون ٥٠% العلمانيون ٢٥% ، ويشكل الحريديم والمتدينون الوطنيون معاً الأقلية الأرثودكسية التي تتمسك بسلطة الشرعية (الهلاخاء) وتمارس الفرائض الدينية العملية ، في حين ان التقليديين العلمانين يشكلون الاغلبية غير المتدينة التي تحافظ بشكل انتقائي على جزء من الشعائر الدينية(٣٦) في تحليليه لنتائج الانتخابات عام ١٩٩٦ م ، حدد احمد خليفة الملاحظات الاتية : -

- انزلاق باتجاه اليمين والتطرف السياسي .
- ضمور في قوة الحزبين الكبيرين الليكود والعمل في مقابل الاحزاب الصغيرة .
- تعاظم في قوة الاحزاب الاثنية والقومية والدينية .

حيث توصل الى نتائج منها : -
- عودة معسكر اليمين القومي والديني ، حيث حصلت احزابه (الكيلود ، جوليت ، شاس ، المفدال ، يهدوت هتوراه) في هذه الانتخابات على ٧٥ مقعدا مقابل ٥٢ حصلت عليه احزاب معسكر اليسار .
- تعاضم دور المعسكر الديني (شاس ، المفدال ، يهودت هتواره) لاول مرة في تاريخ الانتخابات على هذه النتائج (٣٧).

يقول رابين ان (القدس الكبرى الموحدة ستظل عاصمة لاسرائيل لأبد الآبدين) (٣٨) بينما يعلن نتنياهو امام عضاء الكونغرس الامريكي عام ١٩٩٦ م ان اورشليم هي عاصمة اسرائيل الموحدة الى الأبد، قالها ثلاث مرات (٣٩) في مقابلة مع صحيفة يديعوت احرنوت عام ١٩٩٧م قال (ان كل حلمي هو ان ابني القدس واعمرها بالمستوطنات) (٤٠) .

إ ن ترديد عبارات (لا قيمة لاسرائيل بدون القدس ولا قيمة للقدس بدون الهيكل) (٤١) تناسب منطقيا مع النظرة الدينية المتصاعدة داخل اسرائيل ، فالحمائم تتحايل وتماطل من اجل التنازل عن شئ او شبه شئ ، والصقور تجادل لكي لا يتم التنازل عن شئ ، وبين تفاهة التنازل وعنف المعارضة انكشفت طبيعة النفسية اليهودية والعقيدية اليهودية فتفجرت الازمة وحين تسمع ان احد الصقور ينادي بقتل او ابادة او طرد الفلسطينين ، فاعلم ان الحمائم لا تخالفه في ذلك الا في الطريقة والاسلوب والوقت .

لقد جسد التيار الديني ، العنصرية اليهودية في مشروع حزب كاخ الذي قدمه الى الحاخام مائير كهانا سنة ١٩٨٥ م ، المسمى قانون الجنسية الإسرائيلية و تبادل السكان حيث أكد على :-
- ليس اغير اليهوداي حقوق سياسية و دستورية من التصويت و الترشيح لإنتخابات الكنسيت أو التعين في منصب سياسي . - عليهم تقع الواجبات فقط لدفع الضرائب و غيرها .
- إن طرد كل عربي لا يسلم بسيادة اليهود المطلقة على أرض إسرائيل يعد واجباً دينياً (٤٢).

إجمالاً نرى أن تعاظم دور الدين و الأحزاب الدينية في إسرائيل ، حالة ليست غريبة على هذا الكيان الذي أسس أصلاً على الدين ، كأول دولة ثيوقراطية في العصر الحديث ،إتخذت الدين و العقيدة الدينية ركيزة تقوم عليه الدعوة السياسية (٤٣).

رابعاً : الإستنتاجات

مما تقدم ، نرى أن هنالك شواهد عدة تدل على أن قضية القدس ، و بالذات المسجد الأقصى ستكون بؤرة الإهتمام من القضايا الدينية ، و ما يترتب عليها من نشاطات و فعاليات سياسية و عسكرية في عالمنا العربي الإسلامي ، و لهذا فإنهم يستعجلون في بناء (هيكل سليمان) لأنه في تصورهم سيقرب موعد نزول المسيح المنتظر .

إن إسرائيل ليست هي التي ستعلن نهاية العالم ، و إنما عودة قطاع عريض من اليهود الى الدين هي التي ستؤدي الى ذلك (٤٤) و إن جماعات واسعة من الشباب اليهودي بداوا يعودون الى التوراة و تعاليمها ، و صار لهم ثقلهم و تأثيرهم على المجتمع و الدولة ، و هم على شكل كتائب من حملة التوراة متأثرين بنص تلمودي يقول (يجب على كل يهودي أن يبقى لأن تظل السلطة في الأرض المقدسة لليهود دون سواهم ، و قبل أن يحكم اليهود نهائياً باقي الأمم يجب أن تقوم الحرب على قدم وساق ، و يهلك ثلث العالم و سيأتي المسيح الحق و يحقق النصر القريب) (٤٥). لهذا ماعادت قضية القدس بالنسبة للاحزاب الاسرائلية مشكلة سياسية -امنية -عسكرية ، يختص بها السياسيون والقادة العسكريون، بل انها مشكلة دينية اولا واخيراً ، نابعة من تعاليم الرب في التوراة التي أعطت في اعتقادهم الحق الالهي لليهودي في فلسطين ، لذا كان الشعار المركزي للاحزاب والقوى السياسية الاخرى هو (ارض اسرائيل للاسرائيلين) (٤٦) ولا خلاف بين هذه الاحزاب الدينية او العلمانية المتناوبة على نظام الحكم على المشروع الاسرائيلي الكبير الذي عاصمته القدس ، لذا من الخطأ ان يتوهم البعض ان سياسة اسرائيل بالنسبة للقدس ستتغير تحت اي ظرف(٤٧).

ان الارض التي يطلقون عليها ارض الموعد او الارض المختارة ، هي في الواقع الارض التي وعدها الله للصالحين من ذرية ابراهيم عليه السلام ، ليؤموا منها العالمين من عباده المخلصين للدين الحق المبين والمنهج الرسالي القويم، قال تعالى (قال اني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي ، قال لا ينال عهدي الظالمين) (٤٨) فمن حاد عن هذا المنهج الرسالي فليس له حق تاريخي او ديني في

هذه الارض المقدسة حتى لو ولد فيها او عاش فيها اجداده ، لان هذه الارض ليست ملكا عرقيا او تاريخياً لأحدٍ من بني البشر، بل ان تمكينها ممنوح لورثة المتقين من عباد الله، قال تعالى (ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين) (٤٩) .

يتضح مما سبق ان اصرار اليهود على اقامة دولتهم في فلسطين هو تنفيذ لتعاليم التوراة ، والقدس عندهم قضية حاسمة فهي مدينة الله ، والهيكل هو بيت الله المذكور في النبوءات ولا خيار ولا تفكير بل لا وجود لاخر ، لهذا اقاموا دولتهم على مرتكزات دينية هي في جوهرها تطوير كبير لمفهوم (الا نتظار)عند اليهود ، وتمرد على الانتظار السلبي لعودة المسيح او المسيا او الماشيح ، حتى يكفروا عن ذنوبهم وافسادهم في الارض وقتلهم للانبياء لذلك قال عنهم الرب (اني بسبب زنى المرتدة اسرائيل قد طلقتها فاعطيتها كتابطلاق) وتكرر العقوبة مرة اخرى (تدنست الارض تحت سكانها لأنهم تعدوا الشرائع ونقضوا الحكم ونكثوا العهد الابدي فلذلك اكلت اللعنة الارض) (٥٠) حتى تحققت نبؤة التوراة (فرفع يده مقسما ليستوطنهم في البرية ويستوطن ذريتهم في الامم ويبددنهم في البلاد)(٥١) . خلاصة القول ان اسرائيل هي اول دولة دينية في عالمنا المعاصر، وانها نتاج النبوءات التوراتية والتلمودية ، ممزوجة بالاساطير والخرافات وبروتوكولات حكماء صهيون عبر التاريخ ، لهذا فان أكثر شراح التوراة والانجيل ، لا يرتابون في ان قيام (الرجسة) هو قيام دولة رجسة مخربة على ارض القدس ، ولدينا شهادة مهمة من اليهود انفسهم تقول ان دولة اسرائيل الحالية هي دولة دولة (الرجسة) او (رجسة الخراب)(٥٢).

الهوامش :

(١) عجاج نويض ، بروتوكولات حكماء صهيون ، ط ٤ ، الأجزاء الأربعة ، دار الإستقلال (بيروت : ١٩٩٦ م) ص ٤٨٣ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٢١٦ ـ ٢١٧ .

(٣) ينظر :

(٤) عبدالعزيز مصطفى كامل ، حمى سنة ٢٠٠٠ م ، دار السليم للنشر (الرياض : ١٩٩٩ م) ص٩ وكذلك : سفر بن عبدالرحمن الموالي ، يوم الغضب . قراءة تفسيسرية لنبؤات التوراة عن نهاية دولة إسرائيل . ط ٢ ، طبعة مصر ، د . ن ، د . ت ، ص ١٥ .

(٥) نديم عيسى خلف ، الأصولية الصهيونية والتسوية ، مجلة مركز صلاح الدين الأيوبي لدراسات القدس ، ع١ لسنة ٢٠٠١ م ، جامعة تكريت ، ص ٥١ .

(٦) مأمون كيوان ، الحاخامية ومكانتها في إسرائيل ، مجلة الأرض، عدد ١– ٢ /ك٢ شباط ١٩٩٤ ص ٦١.

(٧) كامل ، حمى سنة ٢٠٠٠ م ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٣١ .

(٨) المرجع نفسه ، ص ٢٥ .

(٩) المرجع نفسه ، ص ٤٠ ، لتفصيلات أكثر يراجع– ايمانوئيل هيمان ، الأصولية اليهودية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة : د . ت) ص ١٠٢ .– أيان لوستك ، الأصولية اليهودية في إسرائيل ، ترجمة حسين زينة ، الدراسات الفلسطينية (بيروت ١٩٩١)_

Amnon Rubinstein , The Zionist Dream , Rivised From Herzl to Gush Emunim، (New York : 1984) P. 105 –, Gerhard . Y. Rad

George _ Old Testment Theology (london : 1973) Vol 1 , P.99

E. Mendenhall , The Tenth Generation , The Origin Of The Biblical Tradition (Bill . Timor : 1973) pp. 7- 31

(١٠) كامل ، حمى سنة ٢٠٠٠ م ، مرجع سابق ، ص ٩ و ١٠ وما بعدهما .

(١١) الحوالي ، مرجع سابق ، ص ٤٨.

(١٢) صحاح زكريا ٢/١ ـ ١٣ ، سفر يوشع ٩/٣ .

(١٣)عبدالوهاب المسيري ، الأيدلوجية الصهيونية ، (الكويت : ١٩٨٣ م) ، ص ١٨ أيضاً ينظر : نويهض ، بروتوكولات صهيون ، مرجع سابق ، ص ٥٥ . هاني الصفدي ، حول الصهيونية وإسرائيل ، (بيروت : ١٩٦٩م) ص ١١١ . أبكار السقاف ، إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة (بيروت : ١٩٦٧) ص ٣٤٦ . خليل الطيار ، التخطيط الصهيوني من اللاهوتية الى الصهيونية ، بيت الحكمة (بغداد : ١٩٩٢) ص ٣٩ . صابر طعيمة ، التأريخ اليهودي العام ، بيروت : ١٩٧٥ م ص ١١٤

(١٤) الطيار ، مرجع سابق ، ص ٤٤

(١٥) ينظر : كامل ، حمى سنة ٢٠٠٠ م ص ٦ .

(١٦) ينظر : روجيه غارودي ، الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية ، تعريب حياة الحوبيك ، مطابع جريدة الدستور (عمان ١٩٩٧ م) ص ١٧

– عبد السميع الهراوي ، الصهيونية بين الدين و السياسة ، الهيئة المصرية للكتاب ، (القاهرة : ١٩٧٧) – حسن ظاظا ، الفكر الديني اليهودي ، دار العلم (دمشق ١٩٨٧ م) ص ١٢

– حول اللقاء بين البابا بيوس العاشر و هرتزل ، ينظر : نويهض ، برتوكولات حكماء صهيون ص ١٦٥

(١٧) سفر التكوين / الإصحاح : ١٥ / ١٨ – ٢١ .

(١٨) كامل ، مرجع سابق ، ص ٢٤ .

(١٩) نديم عيسى ، مرجع سابق ، ص ١ – ٣ .

(٢٠) دائرة المعارف البرطانية ، ط ١٩٢٦ و ١٩٦٤ و كذلك أحمد عطية الله ، القاموس السياسي ، ص ٩١٧ لتفصيلات أكثر ينظر : – ريتشارد . ل . روبنشتين ، تأملات في الدين و السياسة ، تعريب مصطفى المختار ، الفكر العلمي المعاصر ، ع ٥٦ – ٥٧ مركز الإنماء القومي (بيروت ١٩٨٢ م) ص ١٠٢ .

(٢١) ينظر : Webster Contemporary Dictionary (U.S.A) P. 763

(٢٢) – ليس كل اليهود متفقين على هذه الأركان الخمسة ، فقط السامريون ويشاركهم الصادقيون هم الذين يؤمنون بها ، ينظر : – نويهض ، بروتوكولات حكماء صهيون ، مرجع سابق ، ص ٤٤٤ – أسعد / زوق ، التلمود والصهيونية ، مركز الأبحاث ، منظمة التحرير الفلسطينية (بيروت ١٩٨٠) ص٤١–٤٤– يوسف الحاج ، هيكل ، مكتبة صادر ، د . ت ، ص ٣٥ .

(٢٣) محمد صبيح ، القدس ومعاركنا الكبرى ، دار القدس ، ج١ (الإ سكندرية : ١٩٧٠) ص ٢٣٤ .

(24)- Ismail Raji AL-Faruji , Trialogue of Abrahmic Faith , Int , Islamic publishing House , (Virginia : 1991) P.29

(٢٥) كامل ، حمى سنة ٢٠٠٠ م ، مرجع سابق ، ص ١١٩ . ١٢٠

(٢٦) المرجع السابق ، ص١٢٠

(٢٧) سفر الملوك الأول : الإ صحاح / ٦ .

(٢٨) معاريف ، ١٩ / ١٠ / ١٩٧٢ .

(٢٩) فيكارو الفرنسية ، ١٦ / ١ / ١٩٩٧

(٣٠) نيوزويك ، ١٩ / ٥ / ١٩٩٦

(٣١) مجلة المجلة ، ع ٨٥٧ في ١ /٧/ ١٩٩٦ .

(٣٢) إيمانوئيل هيمان ، مرجع سابق ، ص ١٠٢ .

(٣٣) هشام الدجاني ونصر شمالي ، الأحزاب والكتل السياسية في إسرائيل (دمشق ١٩٨٦م) ص ٢٣ .

(٣٤) نديم عيسى خلف ، دار الحاخامية في إسرائيل – المرجعية الدينية العليا في إسرائيل– بيت الحكمة ط١ (بغداد : ٢٠٠١ م) ص ١٥٩ .

(٣٥) المرجع نفسه ، ص ١٦٦ .

(٣٦) أسامة الغزالي حرب ، مستقبل الصراع العربي . الإسرائيلي ، مركز دراسات الوحدة العربية (بيروت ١٩٨٧م) ص ١٥٩ .

(٣٧) أحمد خليفة ، حركة كاخ في المشهد السياسي الإسرائيلي ، مجلة الدراســـات الفلسطينية ، ع ١٨ ، ١٩٩٤ ص١٨٨ .

(٣٨) نقلاً عن : كامل ، حمى ٢٠٠٠م ، مرجع سابق ، ص ١٢٣ .

(٣٩) المرجع نفسه ، ص١٢٤ .

(٤٠) يديعوت أحرنوت ، ١٩٩٧ .

(٤١) كامل ، حمى ٢٠٠٠م ، مرجع سابق ، ص ١٢٤ .

(٤٢) يتسماق شور ، مقترحات كهانا في مقابل قوانين النازيين ، (عل همشمار : ١٩٨٥) مج ٢ ، ع١ نيسان ٩٨٥ ص ٦٣ . لتفاصيل أكثر ينظر : أحمد قسميت الحداوي ، مجلة العلوم القانونية و الإقتصادية ، ع١ ، السنة ٣ ، كلية الحقوق ، جامعة عين شمس (مصر : ١٩٨٨) حيث يقول في ص ١٥٧ (إن قانون الجنسية الإسرائيلية ، لا يأخذ بحق الدم أو بحق الأقليم ، أو بالحقين معاً في فرض جنسيتها خلافاً كما هو متبع في قوانين دول العالم ، إنما يأخذ بالهوية الدينية كأساس لفرض الجنسية ، و يعتبر إزدواج الجنسية من المبادىء المقبولة فيه بغية إضفاء الجنسية على كل يهودي في العالم (م / ١٤) من قانون الجنسية الإسرائيلية .

(٤٣) أحمد عطية الله ، مرجع سابق ، ص ٩١٧ . أيظاً ينظر : عزمي بشارة ، دوامة الدين و الدولة في إسرائيل ، مجلة الدراسات الفلسطينية . ع ٣ (قبرص : ١٩٩٠) ص ٣٩ .

(٤٤) إيمانوئيل هيمان ، مرجع سبق ذكره ، ص ٣٩ .

(٤٥) مظفر الدين خان ، التلمود : تاريخه و تعاليمه ، دار النفائس (بيروت ١٩٨٨ م) ص ٥٠ .

(٤٦) داني رونشتاين ، غوش إيمونيم ، الوجه الحقيقي للصهيونية ، ترجمة غازي السعدي ، دار الجليل ، (عمان : ١٩٨٨ م) ص ٨٧ .

(٤٧) كيت ماجواير ، تهويد القدس ، د . ن ، د . ت ، ص ٤٠ .

(٤٨) البقرة : ١٢٤ .

(٤٩) الأعراف : ١٢٨ .

(٥٠) سفر أرمياء : ٣ : ٨ .

(٥١) المزمور : ١٠٦ (داود : ٢٦ ، ٢٧) .

(٥٢) الحوالي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٧٧ وما بعدها حيث يقول في ص ٧٢ (إن رجسة الخراب مصطلح كتابي عند اليهود والنصارى ، وله ترجمات بالمعنى مثل (معصية الخراب) والمعصية المدمرة . وجاء بمعنى أوضح وهو (المملكة الخاطئة).

ثبت المصادر والمراجع:

١. الاحزاب والكتل السياسية في اسرائيل ، هشام الدجاين ونصر شمالي ، دمشق : ١٩٨٦ .
٢. الاساطير المؤسسة للسياسة الاسرائلية ، روجيه غارودي ، تعريب : حياة الحويبك ، مطابع جريدة الدستور ، عمان : ١٩٩٧ .
٣. اصول التوراة ، حسين ذو الفقار جبر ، مجلة العربي ، ع ٢٥٢ ، الكويت : ١٩٧٩ .
٤. الاصولية الصهيونية والتسوية ، نديم عيسى خلف ، مجلة مركز صلاح الدين الايوبي لدراسة القدس ، ع١ ، لسنة ٢٠٠١ ، جامعة تكريت : ٢٠٠٢ .
٥. الاصولية اليهودية ، ايمانوئيل هيمان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة : د. ت .

٦. الاصولية اليهودية في اسرائيل ، ايان لوستك ، تعريب : حسني زينة ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت : ١٩٩١ .
٧. الاعتداءات الصهيونية على الحقوق العربية في القدس ، حسن سيد سليمان ، ابحاث الندوة /٢ للحقوق العربية الثابتة في القدس عمان : ١٩٩٦ .
٨. بروتوكولات صهيون ، عطار احمد عبد الغفور ، مطابع دار العلم ، بيروت : ١٩٨٦ .
٩. تأملات في الدين والسياسة ، ريتشارد . ل . روينشتين . تعريب : مصطفى المختار ، الفكر العلمي المعاصر ، ع ٥٦-٥٧ ، مركز الانماء القومي ، بيروت : ١٩٨٢ .
١٠.التخطيط الصهيوني من اللاهوتية الى الصهيونية ، خليل الطيار ، بحث منشور في ابحاث الندوة الفكرية والسياسة بيت الحكمة ، بغداد ١٩٩٢ .
١١.التلمود والصهيونية ، اسعد رزق منظمة التحرير الفلسطينية ، مركز الابحاث ، بيروت ١٩٨٠ .
١٢.التلمود : تاريخه وتعاليمه ، مظفر الدين خان ، دار النفائس ، بيروت ١٩٨٨ .
١٣.تهويد القدس ، كيث ماطوير ، دار الافاق الجديدة ، بيروت ١٩٨١ .
١٤.ثمن اسرائيل ، الفريد ليلبنتيال ، تعريب : حبيب غولي وياسر هواري ، دار الافاق الجديدة ، بيروت : ١٩٨١ .
١٥.حركة كاخ في المشهد الاسرائيلي ، احمد خليفة ، مجلة الدراسات الفلسطينية ، ع١٨ ، ١٩٩٤ .
١٦.حمى سنة ٢٠٠٠ ، عبد العزيز مصطفى كامل ، دار السليم للنشر ، الرياض .
١٧.دار الحاخامية في اسرائيل – المرجعية الدينية العليا في اسرائيل ، نديم عيسى ، بيت الحكمة ، ط٢ بغداد ٢٠٠١ .
١٨.دوامة الدين والدولة في اسرائيل عزمي بشارة ، مجلة الدراسات الفلسطينية ، ع٣ ، قبرص : ١٩٩٠ .
١٩.الصهيونية بين الدين والسياسة ، عبد السميع الراوي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٧ .
٢٠.الصهيونية بين النظرية والتطبيق ، الن تايلور ، بحث منشور في كتاب (الصهيونية العنصرية) ، المؤسسة العربية للدراسات ، ط١ ، مج٢٢ ، بيروت : ١٩٧٧ .
٢١.قبل ان يهدم الاقصى ، مصطفى كامل ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الرياض (دزت) .
٢٢.القدس (ايمان وجهاد) ، علي الرجاني وعرفان نظام الدين ، مطابع الوفاء ، بيروت : ١٩٧١.
٢٣.القدس ومعاركنا الكبرى ، محمد صبيح ، ج١ ، الاسكندرية : ١٩٧٠ .
٢٤.قضية القدس ، خيرية قاسمة ، دار القدس ، بيروت : ١٩٧٩ .

٢٥.الغرب في مواجهة الاسلام ، مازن المطبقاني ، المعهد العالمي للدعوة الاسلامية ، المدينة المنورة : ١٤٠٩ هـ .
٢٦.الفكر الديني اليهودي ، حسن ظاظا ، دار العلم (دمشق : ١٩٨٧) .
٢٧.مستقبل الصراع العربي ، الاسرائيلي ، اسامة الغزالي حرب ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت : ١٩٨٧ .
٢٨.معركتنا مع اليهود ، سيد قطب ، دار الشروق ، بيروت : ١٩٨٨ .
٢٩.مقترحات مايئركهانا في مقابل قوانين النازين ، يتسحاق شور ، محل همشمار : ١٩٨٥ ، تعريب : نشرة الملف ، مج٢ ، ع١ نيسان ١٩٨٥ .
٣٠.النخبة الحاكمة في اسرائيل ، نظام محمود بركات ، مطابع الكرمل ، بيروت : ١٣٨٢ هـ .

Abstract:-

This study " Israel between religion and secularism " deals with religious dimension of contemporary policy of Israel.

To conceive this policy we have to unveil the historical and religious background of Israel as thought and state, because Israel presented itself to the world as liberal and secular state, while on the contrary , Israel is a religious state based upon Zionist ideology which has no relation with Judasim as Abrahamic faiths.

Finally, this study will focus upon following points:

1- Zionist movement between religion and secularism.
2- Al- Quds in Jewish theology.
3- Al- Quds in contemporary policy of Israel.
4- The role of Jewish fandamentalism in Israel society and state.